الحذر من الأراجيف

والشائعات

وأثرها على المجتمعات



جمع وترتيب

راجي عقوريه المجيب

أحمد بن محمود إبراهيم الديب


بسم الله الرحمن الرحيم

((الحذر من الأراجيف والشائعات

وأثرها على المجتمعات))

الحمد لله رب العالمين الذي أكمل لنا الدِّين، وهدانا إلى صراطه المستقيم، وأتم علينه النعمة، ورضيَ لنا الإسلام دينًا، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ النبي الأمين الذي أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا للعالمين، وداعيًا إلى الله تعالى بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فإن ظاهرة الأراجيف والشائعات من الظواهر الخطيرة التي تظهر في المجتمعات، وهو موضوع هام، فلا تكاد تشرق شمس يوم جديد إلا ونسمع بإشاعة في مكان ما، وتعتبر الشائعات من أخطر الأسلحة المدمرة للمجتمعات والأشخاص، فكم قتلت الإشاعة من أبرياء، وحطمت من عظماء، وتسببت في جرائم، وقطعت من علاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، وكم هزمت الإشاعة من جيوش على مر التاريخ!

وفي عالمنا المعاصر الذي يشهد تطوراً تقنياً في وسائل الاتصال أصبحت الأراجيف والإشاعات أكثر رواجًا وأبلغ تأثيرا.

وإن الصراع بين الحق والباطل مستمر حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، والباطل لا يفتر أبدا في استخدام أهل الأهواء، وأهل الزيغ والضلال بكل وسيلة تعوق الحق عن مواصلة طريقه، وتحقيق أهدافه لتعبيد الأرض لله رب العالمين، ومن ثم فإنه يستخدم سلاح الأراجيف والإشاعات، ويحسن صناعتها ليصد الناس عن الحق وأهله، أو ليفرق جمعه، وليثبط حماسة أتباعه، أو ليغير صدورهم تجاه بعضهم، أو ليشيع الفاحشة في مجتمعة.

وإن صاحب الهوى والأغراض الدنيئة لا يجد متنفساً لما في صدره إلا تلفيق الأكاذيب، وتزوير الأخبار، متناسياً شرف أمانة الكلمة والحديث، وحفظ حقوق المسلمين، فهو قليل المروءة، صفيق الوجه، لا وازع من الدين يردعه، ولا تقوى يتحلى بها لنمنعه، والسماح بانتشار الشائعات

وقبول كل خبر، وعدم التروي يولد التحسس، وينبت التجسس، ويجر إلى تتبع العورات، والتطلع إلى السوءات، ذلك أن الباطل إذا كثر ترديده وطال التفكير فيه انقلب عند الناس في حكم الحقيقة، وحينئذ تقع الواقعة على المتهمين المظلومين.

ولنعلم أن من الناس أناساً لا هم لهم إلا القيل والقال، والخوض فيما لا يفيد بحال، لم تألف نفوسهم الانضباط بتعاليم الشريعة، والتأدب بآداب القرآن والسنة، يتناقلون الأحاديث دون وعي أو تثبت، مطيتهم في ذلك: قالوا، وزعموا، وبئس مطية الرجل زعموا.

يفرح بكل شائعة، ويطير هنا وهناك، ولا يعنيه ما يقع له من جراء ذلك حين يتلقاها لسان عن لسان، وبيت عن بيت، كلمة عابرة، وفلتة لسان تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى مجتمعه ما لا يخطر على بال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال.

من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي والقراء الكرام بأخذ الحذر مما يحاك بأمتنا، وبخطورة الأراجيف والشائعات، وآثارها على المجتمعات، ووسائل القضاء عليها، لذا تهدف هذه الكلمات إلى محاولة التعرف على طبيعة الأراجيف والشائعات وحجمها ومدى خطورتها على المجتمعات عبر جميع وسائل الإعلام والتواصل المسموعة والمقروءة والمرئية ومواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك التعرف على سبل مقاومة الشائعات ومحاصرتها عبر تلك المواقع، وسوف يدور تذكيري حول هذه النقاط:

١- معنى الحذر في اللغة والاصطلاح.

٢- لماذا يجب علينا الحذر؟ وممن نحذر؟

٣- أساليب الأعداء في محاربة الإسلام والمسلمين.

٤- من أعداء الإسلام؟

٥- وجوب إعداد العدة لمجابهة أعداء الإسلام في جميع الميادين.

٦- وجوب الوعي الكامل بمكائد الأعداء وخططهم.

٧ - - المعنى اللغوي والاصطلاحي للأراجيف والشائعة.

٨- الأثر السلبي للشائعات على المجتمع.

٩- موقف الإسلام من الشائعات.

١٠- صفات مروج الشائعة.

١١- سهولة رواج الشائعات في العصر الحاضر.

١٢- نموذج من القرآن الكريم على أثر الشائعات في حادثة الإفك وفوائد تربوية ودروس وعبر من هذه الحادثة.

١٣- منهج التعامل مع الشائعات.

ونعوذ بالله من أن نكون ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنو، وممن يحدثون الأراجيف وينشرون الشائعات في المجتمعات، وأعوذ بالله من

قسوة القلب التي تحول دون الفهم عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يمن علينا بالاستقامة على الكتاب والسنة، وأن يختم لنا بالا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

جمع وترتيب

أبو أيمن

أحمد بن محمود بن إبراهيم الديب

المشرف التربوي بمدارس دار الذكر (سابقاً)

الحادي عشر من ذي القعدة ١٤٣٧هـ

الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين

لا يخفى على الجميع ما تمر به أمتنا اليوم من هجمة شرسة من أعدائها، وما تمر به من محن وخلافات وحروب طاحنة في بلاد المسلمين، وهذا يستوجب منا أن نأخذ حذرنا في السلم والحرب؛ لحماية مجتمعنا من كيد أعدائنا؛ فما هو الحذر؟ وممن نحذر؟ ولماذا الحذر؟ وما هو واجبنا أمام ما حذرنا منه؟ هذه أربعة أسئلة نتعرف من خلال الإجابة عليها على مفهوم الحذر في كتاب ربنا تبارك وتعالى وفي سنة نبينا ﷺ.

١- معنى الحذر في اللغة والاصطلاح.

فما هو الحذر؟ إن الحذر في اللغة يعني: اليقظة والتأهب، واصطلاحًا: هو أخذ الحيطة للأمر قبل وقوع المكروه.

٢- لماذا يجب علينا الحذر؟ وممن نحذر؟

والحذر ثابت بالكتاب والسنة، ثابت بالكتاب فإن الله تعالى أمرنا بأخذ الحذر من أعدائنا فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنْفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]. فعلينا أن نأخذ حذرنا امتثالا لأمر ربنا عز وجل.

والحذر ثابت في السنة المطهرة من أفعاله ﷺ في هجرته وأعماله العسكرية التي واجه بها أعداء الله تعالى.

وممن نحذر؟ علينا أن نحذر من أعدائنا، فأعداء الله تعالى حريصون كل الحرص على زعزعة أمن بلادنا وإثارة الفتن، وهم لا يتحرجون من أن يستخدموا أي أسلوب لتحقيق هدفهم.

لماذا الحذر؟ لا بد من الحذر؛ لأن أعداء الإسلام والمسلمين يريدون القضاء على الإسلام بكل وسيلة، وهذا ما أخبرنا الله تعالى به وبما يدبرونه من مكايد فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ﴾. [الصف:٨].

٣- أساليب الأعداء في محاربة الإسلام والمسلمين.

٤- ومن أعداء الإسلام؟

ولقد تنوعت أساليب أعداء المسلمين في محاولات شتى للقضاء على ديننا، ووجهوا إلينا ألوانا من الأسلحة وغزوا المسلمين من كل جهة، وأنا أذكر هنا أنواعًا من أسلحتهم التي غزوا بها المسلمين:

غزوا المسلمين بالسلاح العسكري، غزوهم بالسلاح الفكري، غزوهم بالسلاح الخلقي، غزوهم بالسلاح العاطفي.

غزوا المسلمين بالسلاح العسكري؛ فأعلنوا الحرب على المسلمين وشنوا الغارة عليهم بأقوى الأسلحة التي تمكنهم الفرصة من استعمالها.

وغزوا المسلمين بالسلاح الفكري فأفسدوا أفكارهم وعقائدهم إلا من رحم الله تعالى، يحاولون تشكيك المسلمين في دينهم، وزعزعة العقيدة من قلوبهم بما ينشرونه من كتب ورسائل، وما يلقونه من خطب ومقالات بالطعن في الإسلام وقادته أحيانا، وبتزيين ما هم عليه من الباطل أحيانا أخرى؛ فإن اعتنق المسلم ما هم عليه من الكفر والضلال فذلك

غاية مناهم وتمام رضاهم، قال الله تعالى وهو العالم بما تخفي صدورهم: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩]، وقال عالم الغيب والشهادة: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

وإذا لم يعتنق المسلم ما هم عليه من الكفر والضلال اقتنعوا منه بالشك في دينه والارتياب، وفي ذلك خروجه من الدين؛ فإن الشك في الدين كفر، ولقد صرح بعضهم بذلك فقالوا: "إننا نستبعد من المسلم أن يدخل في ديننا، ولكن يكفينا أن يشك في دينه ثم يخرج منه إلى أي دين شاء" لأنهم يعلمون أن عِزّ الإسلام هو ذلهم.

وغزوا المسلمين بالسلاح الخُلقي؛ فنشروا بين المسلمين ما تفسد به أخلاقهم وتسفل به آدابهم وتكسد به قيمهم، نشروا فيهم ما يثير الغرائز والشهوة إما بالأغاني والألحان، وإما بالكلمات الماجنة والقصص الخليعة، وإما بالصور الفاتنة والمجلة الساقطة، حتى يصبح المسلم فريسة لشهوته، يتحلل من كل خلق فاضل، وينزل إلى مستوى البهائم، ولا يكون له هم سوى إشباع غريزته من حلال أو حرام، وبذلك ينسى دينه ويهدر كل فضيلة، وينطلق مع شهواته ولذاته إلى غير حدود شرعية ولا عرفية فيتنكر للشرع والعادة.

وغزوا المسلمين بالسلاح العاطفي: سلاح المحبة والعطف؛ فيتظاهرون بمحبة المسلمين والولاء لهم والعطف عليهم ومراعاة مصالحهم حتى يغتر بهم من يغتر من المسلمين وتنزع من قلوبهم العاطفة الدينية فيميلون إلى هؤلاء الأعداء بالمودة والإخاء والقرب والولاء وينسون قول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم منكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ۞فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ من عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢]، وينسون قول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٥- وجوب إعداد العدة لمجابهة أعداء الإسلام في جميع الميادين.

ما هو واجبنا أمام ما حُذِّرنا منه؟ إنه يجب علينا مع هذه التوجيهات الإلهية الصادرة عن علم وحكمة ورحمة ألا نتجاهل دليلا واقعيا يوجب علينا الحذر من أعدائنا ومن موالاتهم.

ولنعلم أن أعداء الإسلام لا ينحصرون في طائفة معينة ولا حزب معين، إن الكافرين كلهم أعداء الإسلام وأولياء بعضهم لبعض، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي ٱلأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣].

فالكفر أنواع ولكل نوع منه أمة تدين به ما بين يهود ونصارى ومجوس وصابئين ومشركين ودهريين، وكلهم أولياء بعض لاتفاقهم على الخروج

عن طاعة الله تعالى، تشابهت قلوبهم واختلفت عباراتهم وأساليبهم، فقالت اليهود: ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾، وقالت النصارى: ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾، وقالت اليهود: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾، وقالت النصارى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وقالت اليهود: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾، وقالت النصارى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

إن علينا أن ننتبه وعلينا أن نحذر، وإن علينا أن نعتبر بالأحداث، وإن علينا أن نكون أقوياء في التخطيط والعمل، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف كما ثبت ذلك في مسند أحمد وصحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا**

تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)).

والمراد بالمؤمن القوي، القوي في إيمانه ويقينه، والقوي في طاعة ربه ونصرة دينه، والقوي في إحقاق الحق وإبطال الباطل، والقوي في العلم والجسم، والقوي على مواجهة الصعاب وتحمل المشقات، والصابر على المكاره، والراضي بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، إلى أخر ما هنالك مما يتفاضل فيه المؤمنون من الحزم والعزم والشجاعة الأدبية، والصدق والإخلاص، وسائر شعب الإيمان.

إن علينا أن نعد لأعدائنا لكل نوع من هجومهم سلاحه المقابل له حتى نتمكن من صد هجماتهم في كل وجه، وأن نأخذ بالحذر البالغ خصوصا في هذا العصر؛ فإن هذا هو ما أمر الله تعالى به حيث قال: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٠٢]، هكذا يقول الله سبحانه وتعالى في دفاعهم، ويقول في طلبهم: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

وعلينا بتقوى الله تعالى، وعلينا بالصدق مع الله تعالى. وخذوا حذركم من عدوكم من اليهود وأعواهم، وأن نحاسب أنفسنا، وأن نتوب إلى ربنا من كل ما يخالف دين الإسلام من مبادئ وعقائد وأعمال، وأن نصدق في مواطن اللقاء، وأن نؤثر الله تعالى والدار الآخرة، وأن نعلم أن النصر المبين والعاقبة الحميدة ليست للعرب دون العجم، ولا للعجم دون العرب، ولا لأبيض دون أسود، ولا لأسود دون أبيض، ولكن النصر بإذن الله تعالى لمن اتقاه واتبع هداه وجاهد نفسه في الله تعالى، وأعد العدة ما

استطاع من القوة كما أمره بذلك مولاه، حيث قال تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾، وقال عز وجل يخاطب رسوله الأمين ﷺ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ

بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٠٢].

فلنتأمل أمر الله عز وجل لعباده أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من القوة، ثم لنتأمل أمره لنبيه ﷺ وللمؤمنين عند مقاتلة الأعداء والقرب منهم أن يقيموا الصلاة ويحملوا السلاح، وكيف كرر الأمر سبحانه في أخذ السلاح والحذر لئلا يهجم عليهم العدو في حال الصلاة، لنعرف بذلك أنه يجب على المجاهدين قادة وجنودًا أن يهتموا بالعدو وأن يحذروا غائلته، وأن يعدوا له ما استطاعوا من قوة وأن يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها مع الاستعداد فيها للحرب عند الحاجة إلى ذلك، وفي ذلك جمع بين الأسباب الحسية والمعنوية.

هذا هو الواجب على المجاهدين في كل زمان أن يتصفوا بالأخلاق الإيمانية، وأن يستقيموا على طاعة ربهم، ويؤمنوا بأن النصر بيده لا بيد غيره، هذا هو السبب الأول والأساس المتين والأصل العظيم، وهو قطب

رحى النصر وأساس النجاة والفلاح، وهذا هو السبب المعنوي الذي خص الله تعالى به عباده المؤمنين وميزهم به عن غيرهم، ووعدهم عليه بالنصر إذا قاموا به مع السبب الثاني حسب الطاقة وهو إعدادهم لعدوهم ما استطاعوا من القوة، والعناية بشؤون الحرب والقتال والصبر والمصابرة في مواطن اللقاء، مع الحذر من مكائد الأعداء.

وبهذين الأمرين يستحقون النصر من ربهم عز وجل فضلاً منه وكرمًا ورحمةً وإحسانًا ووفاءً بوعده وتأييدًا لحزبه، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

. ٦- وجوب الوعي الكامل بمكائد الأعداء وخططهم.

وإن الواجب على أبناء الأمة الوعي الكامل والإدراك الشامل بمخاطر الأعداء ومخططاتهم في استهداف عقائد المسلمين، وزعزعة استقرارهم وتهديد مقدراتهم، فكم من أمور غامضة تجري، وتخطيط ضخم يُرتب في الخفاء الله أعلم بما يحوي وعليه ينطوي، فالصهيونية العالمية اليوم تقود العالم إلى الكوارث والمحن، تريد بأمة محمد ﷺ القلاقل والفتن، والأضرار والإحن. فالحذر الحذر، والحرصَ الحرصَ على هذا الدين.

الواجب على المسلمين أن يدركوا أن الهدف والغاية النهائية من كل تلك المحاولات هو ضرب الأمة في عمقها، والتأثير عليها في أكبر ركيزة من ركائز وجودها، وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول في محكم التنزيل: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾ [النساء: ٨٩].

فعلى الأمة الإسلامية أن تدرك مقاصد دينها، وأغراض وأهداف كلام خالقها، وأن تستبصر مبادئ وتعاليم إسلامها، وإلا فستكون . لا قدر الله تعالى . ضحية تخاذلها، وبعدها عن مشاعل هداية ربها، والله جل وعلا يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

❁❁❁

الحذر من الأراجيف والشائعات

٧ -المعنى اللغوي والاصطلاحي للأراجيف والشائعة.

ظهرت في مجتمعنا آفة اجتماعية خطيرة ابتلي بها كثير من الناس إلا من رحم الله تعالى. هذه الآفة تفتت من عضد المجتمعات، فهي من أخطر الحروب المعنوية والأوبئة النفسية، بل من أشد الأسلحة تدميرًا، وأعظمها وقعًا وتأثيرًا، وليس من المبالغة في شيء إذا عُدَّت ظاهرة اجتماعية عالمية، لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، وأنها جديرة بالتشخيص والعلاج، وحريةٌ بالتصدي والاهتمام لاستئصالها والتحذير منها، والتكاتف للقضاء على أسبابها وبواعثها، حتى لا تقضي على الروح المعنوية في الأمة، التي هي عماد نجاح الأفراد، وأساس أمن واستقرار المجتمعات، وركيزة بناء أمجاد الشعوب والحضارات.

إنها .. الأراجيف والشائعات، فما هي الأراجيف؟ وما هي الشائعة؟ وما هو خطر الشائعة؟ وماذا فعل الإسلام للشائعات؟ وما هي مفاسد الشائعات؟ وما هي الشائعات في العصر الحاضر؟ وكيف نواجه هذا الشائعات؟ هذه أسئلة وغيرها من الأمور التي تتعلق بهذه الآفة الاجتماعية سوف نتناولها معا في هذه الكلمات بمشيئة الله تعالى.

الإرجاف في اللغة: الاضطراب الشديد، ويطلق أيضا على الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتن؛ لأنه ينشأ عنه اضطراب بين الناس. والإرجاف في استعمال الفقهاء: التماس الفتنة، وإشاعة الكذب والباطل للاغتمام به. والإرجاف حرام، وتركه واجب؛ لما فيه من الإضرار بالمسلمين، وفاعله يستحق التعزير. قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّك بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَك فِيهَا إلا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾

[الأحزاب: ٦٠، ٦١]. قال القرطبي: "﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لسلطناك عليهم فتستأصلهم بالقتل".

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من المنافقين يثبطون الناس عنه في غزوة تبوك، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت، ففعل طلحة ذلك.

فما أكثر الشائعات التي تطلق في أوساطنا ونسمعها هذه الأيام، شائعات مقصودة، وشائعات غير مقصودة، فلا يكاد يشرق شمس يوم جديد إلا وتسمع بشائعة في مكان ما، من هنا أو من هناك.

فما هي الشائعة؟ الشائعة مصدر أشاع، وأشاع ذكر الشيء: أطاره وأظهره، وشاع الخبر في الناس شيوعا، أي: انتشر وذاع وظهر. ولا يخرج

استعمال الفقهاء عن هذا المعنى اللغوي. وقد تطلق الشائعة على الأخبار التي لا يعلم من أذاعها. وكثيرا ما يعبر الفقهاء عن هذا المعنى بألفاظ أخرى غير الشائعة؛ كالاشتهار والإفشاء والاستفاضة.

والشائعة اصطلاحا: نشر الأخبار التي ينبغي سترها، لِشَيْنِ الناسِ.

واعلموا أنه يحرم إشاعة أسرار المسلمين وأمورهم الداخلية مما يمس أمنهم واستقرارهم، حتى لا يعلم الأعداء مواضع الضعف فيهم فيستغلوها، أو قوتهم فيتحصنوا منهم؛ كما يحرم إشاعة ما يمس أعراض الناس وأسرارهم الخاصة، قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور:١٩]. هذا هو الحكم الأخروي، وبالنسبة للحكم المترتب على الشائعة الكاذبة فهو حد القذف إن توفرت شروطه، وإلا فالتعزير.

هذا هو معنى الأراجيف والشائعات، فكم للأراجيف والشائعات من خطر عظيم في انتشارها وأثر بليغ في ترويجها، فهي تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص. فكم أقلقت الشائعة والأراجيف من أبرياء، وكم حطمت الشائعة والأراجيف من عظماء، وكم هدمت الشائعة والأراجيف من وشائج، وكم تسببت الشائعات والأراجيف في جرائم، وكم فككت الأراجيف والإشاعة من علاقات وصداقات، وكم هزمت الأراجيف والشائعة من جيوش، وكم أخرت الأراجيف والشائعة في سير أقوام.

٨- الأثر السلبي للشائعات على المجتمع.

وإن الشائعة لها أثر كبير على نفسية الإنسان، بل ربما يصل تأثيرها إلى دين المسلم وخلقه، ولها تأثير كبير كذلك على المجتمعات بأسرها، ولا أكون مبالغا إذا قلت: إن الشائعة ربما تقيم دولاً وتسقط أخرى.

وإن المستقرئ للتأريخ الإنساني يجد أن الشائعات وُجدت حيث وُجد الإنسان، بل إنها عاشت وتكاثرت في أحضان كل الحضارات، ومنذ فجر التأريخ، والشائعة تمثّل مصدر قلقٍ في البناء الاجتماعي والانتماء الحضاري لكل الشعوب والبيئات.

مصادر الشائعات في المجتمعات:

غالبًا ما يكون أساس الشائعات أحد المصادر الآتية:

☆ (1) **خبر من شخص**.

☆ (2)**خبر من جريدة**.

☆ (3)**خبر من مجلة**.

☆ (4)**خبر من إذاعة**.

☆ (5)**خبر من تلفاز**.

☆ (6)**خبر من رسالة خطية**.

☆ (7)**خبر من شريط مسجل**.

☆ (8)**خبر من وسائل التواصل الاجتماعي** شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) حيث تواجه مجتمعاتنا العديد من المخاطر جراء انتشار الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي بصورة غير مسبوقة، حيث أتاحت تلك المواقع نوافذ إعلامية تصل لقطاعات عريضة من الجماهير، إذ يقدر المتابعون والأصدقاء في شبكات التواصل الاجتماعي بالملايين ، وانتشر مفهوم المواطن الإعلامي ليشير إلى مدوني الإعلام الجديد وشبكات التواصل الذين قد لا يكونون بالضرورة

متسلحين بمعايير التثبت من الأخبار، أو ملمين بأخلاقيات العمل الإعلامي . كما أن المنطقة العربية التي تشهد تحولات متسارعة على الصعيد السياسي، وفرت بيئة خصبة لتوظيف الإمكانات المتاحة في شبكة الإنترنت بشكل عام، ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص في الحشد للأيديولوجيات المتناحرة، والتوجهات والرؤى السياسية المتناقضة، ووظف البعض كل الآليات التي تحقق لهم هذا الهدف، ومنها إطلاق الشائعات التي تعج بها تلك المواقع.

وفي الوقت نفسه تم استغلال مواقع التواصل الاجتماعي كأداة من أدوات استجلاء الحقائق وتفنيد الشائعات والتواصل بالرسائل الرسمية إلى قطاعات واسعة من الجماهير .

أنواع الشائعات في المجتمعات:

تختلف الإشاعة بحسب اختلاف الشخص المنقول عنه، فتارة تكون الشائعة مدحًا، وتارة تكون ذمًّا، وتارة تكون خليطًا بين النوعين، وتارة

تكون غريبة في سياق أحداثها، حتى تكون في عداد المستحيلات، لكن تلقُّف الناس وتناقلهم لها جعل المستحيل أمرًا ممكن الوقوع.

خصائص الشائعات في المجتمعات:

يمكن أن نوجز خصائص الشائعات في الأمور التالية:

☆ (1)الشائعة هي عملية نشر المعلومات، ونتائج هذه العملية.

☆ (2)من السهل أن تنطلق الشائعات، وليس من السهل أن تتوقف؛ فالإشاعة تسير بسرعة انتشار النار في الهشيم، بل تسير بسرعة الصوت والضوء، عن طريق الأقمار الصناعية في الوقت الحاضر.

☆ (3)قد تكون الإشاعة صادقة؛ أي: تحتوي المعلومات الواردة في الإشاعة على نواة الحقيقة.

ومثال ذلك: إشاعة حول زيادة رواتب الموظَّفين، واستقالة مسؤول، وارتفاع أسعار بعض المواد الاستهلاكية، التي يحتاجها الناس في حياتهم اليومية، أو النصر أو الهزيمة في بعض المعارك الحربية، وقد تتحقق في بعض الأوقات.

☆ (4)قد تكون الإشاعة كاذبة، أو قد ترتكز على معلومات غير مؤكدة، أو عارية من الصحة.

☆ (5)قد تكون الإشاعة صادقة وكاذبة في نفس الوقت، مثل ما تقوم به بعض الحكومات من تسريب أسماء محتملة وغير محتملة لشغل منصب معيَّن، وذلك بهدف معرفة مدى قبول الناس لهذه الشخصيات؛ فالجانب الصادق في هذه الإشاعة هو وجود شخصيات محتملة فعلًا لشغل هذا المنصب، والجانب الكاذب هو وجود شخصيات غير محتملة لهذا المنصب.

أسباب ترويج الشائعات في المجتمعات:

مروِّجُ الشائعة لا يخلو مراده من مقاصد عدة:

☆ (1)تحقيق منفعةٍ للمشاع عنه:

ترديد الناس للإشاعة قد يكون بدافع الحرص على تحقيق فائدة للشخص أو للشيء المشاع عنه.

☆ (2) الكراهية والانتقام من المشاع عنه:

قد يكون الدافع والمحرك لنشر الإشاعة وترويجها بين الناس إنما هو الكراهية من المشاع عنه، أو الانتقام منه بسبب شيء معين.

☆ (3) الفضول:

الفضول من أسباب ترويج الإشاعات، وهذا حال أغلب المروِّجين للإشاعات؛ فإن إصغاء السامعين لحديثه وإشخاصَهم بإبصارهم إليه وتشوُّقَهم لسماع كل ما يقول – دافعٌ مِن أعظم الدوافع لنقل الإشاعة،

هذا إن سلم من الزيادة في الكلام بهدف تشويق السامعين وتعلقهم بما يقول.

✰ (4) قضاء الأوقات بذكر الشائعات:

من المعلوم المشاهَد: أن كل الحاضرين أو أغلبهم في المجلس يريد أن يشارك في الكلام والنقاش، ويرى السكوت نقصًا في حقه، فتراه يذكر هذه الإشاعة بقصد المشاركة في الحديث، بغضِّ النظر عما يترتب عليه من نقل هذه الإشاعة.

٩- موقف الإسلام من الشائعات.

ولما جاء الإسلام اتخذ الموقف الحازم من الشائعات وأصحابها؛ لما لنشرها وبثها بين أفراد المجتمع من آثار سلبية على تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه وسلامة لُحْمته، والحفاظ على بيضته، بل لقد عدّ الإسلام ذلك سلوكا مرذولاً، منافيا للأخلاق النبيلة والسجايا الكريمة والمثل العليا التي جاءت بها وحثت عليها شريعتنا الغراء من الاجتماع والمحبة والمودّة والإخاء، والتعاون والتراحم والتعاطف والصفاء، وهل الشائعة إلا نسف لتلك القيم ومعول هدم لهذه المثُل؟!

كما حذر الإسلام من الغيبة والوقيعة في الأعراض، والكذب والبهتان والنميمة، والقالة بين الناس، وهل الشائعة إلا كذلك؟! وأمر بحفظ اللسان، وأبان خطورة الكلمة، وحرّم القذف والإفك، وتوعّد محبّي رواج الشائعات بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا

﴿وَٱلۡآخِرَةِ﴾ [النور:١٩]. وحث على التثبت والتبيّن في نقل الأخبار، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فتثبَّتوا﴾.

وأخبر سبحانه وتعالى أن الإنسان مسؤول أمام الله عز وجل ومحاسب عن كل صغير وجليل: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨]، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٦].

والشائعات مبنية على سوء الظن بالمسلمين، والله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات:١٢]، وقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من

حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))

متفق عليه.

روى الطبري عند تفسيره عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَظُنَّ بِالْمُؤْمِنِ شَرًّا. ثم قال: إِنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ بِالْمُؤْمِنِ الشَّرَّ لَا الْخَيْرَ إِثْمٌ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَاهُ عَنْهُ، فَفِعْلُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ إِثْمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ (وَلَا تَجَسَّسُوا) يَقُولُ: نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَتَتَبَّعَ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِ ..انتهى

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية قال: وَرُوِّينَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ" :وَلَا تَظُنَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا . مَا أَجْمَلَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جعلَهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ.

كما نهى الإسلام أتباعه أن يطلقوا الكلام على عواهنه، ويُلغوا عقولهم عند كل شائعة، وتفكيرَهم عند كل ذائعة، أو ينساقوا وراء كل ناعق، ويصدّقوا قول كل دعيٍّ مارق، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))، والْكَذِبُ هُوَ كُلُّ كَلاَمٍ بِخِلاَفِ الْوَاقِعِ، وفي رواية: ((كفى بالمرء إثما)). ويقول الإمام مالك رحمة الله تعالى: "اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع"؛ وذلك سدًّا للباب أمام الوشاة المغرضين ونقلة الشائعات المتربّصين، ومنعًا لرواج الشائعة والبلاغات المجهولة الكيدية المغرضة والأخبار الملفقة المكذوبة على البرآء الغافلين، يقول ﷺ فيما رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟!)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ)).أخرجه البخاري في الأدب المفرد وقال الشيخ الألباني رحمه الله: حديث حسن.

قال ﷺ:" الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ " والمشَّاء: صفة مبالغة ففيه من صفات الأشرار أنهم يسعون بالنميمة بين الناس ويكثر فيهم هذا الأمر – السعي بالنميمة– أي نقل الكلام بين الناس على وجه الفساد ونشر العداوات.

قال ﷺ:" الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ " . وهذا العطف هنا توضيح لمآل النميمة ونتيجتها وغايتها وثمرتها؛ فالنميمة: نتيجتها الإفساد بين الأحبة، إيقاع العداوات بين المتحابين، قال يحيى اليماني رحمه الله :" يفسد النَّمَّام في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة"؛ فالنَّمَّام كلامه سريع الإفساد.

قال ﷺ:" الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ " ثم ذكر لهم صفة أخرى قال:" البَاغُون البُرَآءَ العنت " الباغون: أي الذين يطلبون: بغيت الشيء أي طلبته وحرصت على تحصيله ونيله، " البَاغُون البُرَآءَ" البرآء على وزن العلماء جمع بريء، البَاغُون البُرَآءَ: أي يبغون في حق الأبرياء من عباد الله العنت: أي الهلكة والمشقة والفتنة والشر.

" الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ " وهذه أيضا من نتائج النميمة وثمارها ، النَّمَّام يجعل بين الأبرياء عنتا ومشقة وفسادا وشرا ، والنَّمَّام يجعل بين الأبرياء يجعل بين المتآخين يجعل بين المتحابين يجعل بين المتصافين يجعل بينهم عنتا ومشقة وشرا وفسادا وعدوانا ، هذا معنى قوله: الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ : أي يطلبون العنت والمشقة والشر والفساد في حق الأبرياء في حق المتآخين في حق المتصافين في حق المتوادين؛ وهذا كله مما يبين لنا خطورة حال النّمَّام وأنه من أشرِّ الناس ، قال ﷺ : ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ)) ، فذا من أشرِّ الناس – والعياذ بالله– لأن أصبحت مهمته في المجتمع نشر العداوات.

والنمّام والعياذ بالله لا يهدأ له بال ولا يرتاح له خاطر إلا إذا رأى الأخوة متباغضين وإذا رأى المتحابين متعادين، وإذا رأى في الأبرياء العنت والمشقة إذا رآهم على هذه الحال أحس أنه أدى مهمته لكن عقوبة الله تعالى له يوم القيامة عظيمة.

فمن هذا الكلام نستخلص:

١ – أنه لا ينبغي التحدث بكل ما يسمع.

٢ – يجوز كتمان بعض العلم للمصلحة.

٣ – كتمان العلم على سبيل الإطلاق لا يجوز لأنه ليس بمصلحة.

٤ – المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة.

٥– حدثوا الناس على قدر عقولهم وافهامهم.

٦ – من حدث بكل ما سمع كثر خطؤه.

٧ – أن على المتعلم والمعلم أن يربي بصغار العلم قبل كباره.

٨ – أن يراعي الزمان والمكان إن تحدث لكي لا يفسد أكثر مما يصلح.

١٠- صفات مروج الشائعة.

إن مروّج الشائعة لئيم الطبع دنِيء الهمة، مريض النفس منحرف التفكير، صفيق الوجه عديم المروءة ضعيف الديانة، يتقاطر خسَّة ودناءة، قد ترسّب الغلّ في أحشائه، فلا يستريح حتى يزبد ويُرغي، ويفسد ويؤذي، فتانٌ فتاكٌ، ساع في الأرض بالفساد، يؤذي البلاد والعباد.

ومنذ فجر التأريخ والشائعات تنشب مخالبها في جسد العالم كله، لا سيما في أهل الإسلام، يروّجها ضعاف النفوس والمغرضون من أعداء الديانة، ويتولى أعداء الإسلام عبر التأريخ .

لاسيما اليهود قتلة الأنبياء ونقضة العهود قاموا بأكبر الشائعات؛ بغيةَ هدم صرح الدعوة الإسلامية والنيل من أصحابها والتشكيك فيها، ولم يسلم من شائعاتهم حتى الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، فقد تعرّضوا

لحملة من الافتراءات والأراجيف ضد رسالتهم، تظهر حينا وتحت جُنح الظلام أحيانًا، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

فهذا المسيح عليه السلام تشكك الشائعات المغرضة فيه وفي أمة الصديقة: ﴿يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨].

وهذا الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف عليه السلام نموذج من نماذج الطهر والنقاء ضد الشائعات المغرضة التي تمس العرض والشرف ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

١١- سهولة رواج الشائعات في العصر الحاضر.

لقد تطوّرت الشائعات بتطور العصور، ويمثّل عصرنا الحاضر عصرًا ذهبيًا لرواج الشائعات المغرضة، وما ذاك إلا لكثرة وسائل الاتصالات التي جعلت العالم قرية كونية واحدة، فآلاف الوسائل الإعلامية والقنوات الفضائية والشبكات المعلوماتية تتولّى كِبرَ نشر الشائعات المغرضة، والحملات الإعلامية المحمومة، في صورة من أبشع صور الإرهاب النفسي والتحطيم المعنوي، له دوافعه المشينة وأغراضه المشبوهة، ضد عقيدة الأمة ومُثلها وثوابتها وقيمها.

وإنك لتأسف أشد الأسف ممن يتلقى الشائعات المغرضة وكأنها حقائق مسلّمة، يجلس أحدهم الساعات الطوال أمام أجهزة الشبكات المعلوماتية بوجهها الكالح، وما يعرف بالإنترنت عبر مواقعه المشبوهة فيلطّخ سمعه وبصره من الشائعات الباطلة، وتلفيق التهم ضد أمن الأمة ومجتمعاتها الإسلامية؛ فاحذروا ـ يا عباد الله ـ من الإشاعة والأراجيف واقضوا عليها في مهدها.

١٢- نموذج من القرآن على أثر الشائعات في حادثة الإفك.

وما فيها من فوائد تربوية ودروس وعبر

اخترت هذا النموذج لأنه أول موقف للشائعات والقذف حدث في الإسلام فكيف تعامل معه؟ وما هي الفوائد التربوية وما هي الدروس والعبر من هذا الحدث الذي ذكر في القرآن الكريم قرأناً يتلى إلى يوم الدين؟

أول قذف بالإسلام في قصة الإفك.

ذكر القرآن الكريم قصة الإفك أو حادثة الإفك بشكل مفصل في سورة النور، وقد بيّن تفاصيلها، وما لحق بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيها من ظلم وأذى، وهذه هي القصة ترويها لنا أمنا عائشة –رضي الله عنها– وأذكرها كما أوردها الإمامان الكبيران الجليلان البخاري ومسلم –رحمهما الله تعالي– في صحيحيهما.

قَالَتْ عائشة رضي الله عنها : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا ، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي ، فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدْ انْقَطَعَ ، فَرَجَعْتُ ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي ، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ (يَهْبُلْنَ) وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ ، فَتَيَمَّمْتُ

مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ ، فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي ، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي ، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ .

مساعدة صفوان بن المعطل للسيدة عائشة تقول:

فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا ، فَرَكِبْتُهَا ، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ :«كَيْفَ تِيكُمْ» ؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ ، وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ –وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا – وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا ، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ –وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ – فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ . فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ»؟ قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ

عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا. فقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ»؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ –وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ –: «يَا مَعْشَرَ

الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي.

خطاب الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها

فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ ، فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ : «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» . فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ –وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ : إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ –وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ – لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ –وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ – لَتُصَدِّقُونَنِي ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾.

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي ، وَلَكِنْ –وَاللَّهِ– مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى ، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

براءة السيدة عائشة رضي الله عنها من فوق سبع سماوات:

فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -وَهُوَ يَضْحَكُ - فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ :«أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» . فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ - : وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ

مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ –زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي:«مَا عَلِمْتِ» ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ: فَإِنَّهُ قَالَ : فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ وقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

معاني ما ورد في القصة من الغريب

وهو مأخوذ من كلام الحافظ في الفتح ومن شرح النووي على صحيح مسلم رحمة الله على الجميع..

الغزوة التي أشارت إليها هِيَ غَزْوَة بني الْمُصْطَلِق.

وَالْهَوْدَج: محمل لَهُ قُبَّة تُسْتَر به النساء، يكون بِالثِّيَابِ وَنَحْو ذلك.

جزع: خرز، وظفار مدينة باليمن.

والرهط من ثلاثة إلى عشرة.

رَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ: وضعوه.

لَمْ يُهَبَّلْنَ: لم يكثر اللحم في أبدانهن.

العلقة: الذي يسد الرمق.

حديثة السن: صغيرة، وكان عمرها أشفّ من خمسة عشر عاماً.

وموغرين : نَازِلِينَ فِي وَقْت الْوَغْرَة ، وَهِيَ شِدَّة الْحَرّ لَمَّا تَكُون الشَّمْس فِي كَبِدِ السَّمَاء.

وتيكم للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

نقهت: قمت من مرضي وما رجعت إليّ تمام صحتي.

قولها : هنتاه ، قال الحافظ :" أَيْ حَرْف نِدَاء لِلْبَعِيدِ وَقَدْ يُسْتَعْمَل لِلْقَرِيبِ حَيْثُ يَنْزِل مَنْزِلَة الْبَعِيد ، وَالنُّكْتَة فِيهِ هُنَا أَنَّ أُمّ مِسْطَح نَسَبَتْ عَائِشَة إِلَى الْغَفْلَة عَمَّا قِيلَ فِيهَا لِإِنْكَارِهَا سَبَّ مِسْطَح فَخَاطَبَتْهَا خِطَاب الْبَعِيد، وَهَنْتَاهْ بِفَتْحِ الْهَاء وَسُكُون النُّون وَقَدْ تُفْتَح بَعْدَهَا مُثَنَّاة وَآخِرُهُ هَاء سَاكِنَة وَقَدْ تُضَمّ ، أَيْ : هَذِهِ ، وَقِيلَ : اِمْرَأَة ، وَقِيلَ : بُلْهَى ؛ كَأَنَّهَا نَسَبَتْهَا إِلَى قِلَّة الْمَعْرِفَة بِمَكَائِدِ النَّاس . وَهَذِهِ اللَّفْظَة تَخْتَصّ بِالنِّدَاءِ وَهِيَ عِبَارَة عَنْ كُلّ نَكِرَة، وَإِذَا خُوطِبَ الْمُذَكَّر قِيلَ يَا هَنَة."

قول أم عائشة رضي الله عنهما (ضرائر): قيل للزوجات ذلك لأن الضرر يحصل لكل واحدة من الأخرى بالغيرة.

وأما قول بريرة: "وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ", فالداجن: كل حيوان يألف البيوت، والمراد: إذا كان

هذا حالها لا تمنع طعامها من الحيوان فهذا أقرب لأن تكون غافلة مؤمنة لا تخطر الفاحشة على بالها.

فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ: طلب من ينصفه منه، والعزير الناصر، ومن يعذرني من ينصرني.

القذف:

القذف: هو نسبةُ آدمي لغيره بفعلة الزنا أو الفاحشة، أو قطع النسب.

القذف: وهو أيضاً الرمي بالزنا أو اللواط، وإذا قذف المكلف المختار ولو أخرس بإشارة بفاحشة الزنى محصناً، حتى وإن كان مجبوباً أو ذات محرم أو رتقاء، فيُجلد القاذف ثمانين جلدةً، حتى وإن كان حراً. فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ النور: ٤.

أول قذف بالإسلام في قصة الإفك:

ويأتي أول قذف في الإسلام ما كان بين غير الزوجين ممّا يوجب الحدّ، أما إذا كان بين الزوجين، فقد توجّب اللعان وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: أول لعان كان في الإسلام هو أن شريك ابن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته.

وعليه فقد اشتهر أول قذف في الإسلام بين غير الزوجين بقصة القذف الكاذب على عائشة رضي الله عنها، التي سميت قصتها باسم حادثة الإفك. وأنزل الله فيها آياتٍ تُتلى في سورة النور تبرئةً من الله للصديقةِ بنتُ الصديق وحبيبة نبيّ الله محمد ﷺ إذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة النور.

الحكمة والغاية من حادثة الإفك:

لقد أشير في تضاعيف هذه القصة إلى جملةٍ من الحِكم والأسرار التشريعية فيها، مثل:

☆ أن النبي ﷺ ، لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله به، ولهذا لم يستطع الحسم في القضية حتى نزل الوحي.

☆ إثبات بشرية النبي ﷺ فهذه الحادثة أثبتت أن النبي ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته، وفضله وعلو منزلته، عن كونه بشرًا، فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية، فينسب إليه ما لا يجوز نسبته إلا إلى الله وحده، قال تعالى :﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

☆كما أظهرت هذه الحادثة أن الوحي ليس شعورًا نفسيًّا أو إلهامًا، كما أنه ليس شيئًا خاضعًا لإرادته ورغبته ﷺ؛ مما يدعيه محترفو التشكيك في الإسلام والتلبيس على المسلمين من أعداء الإسلام ومن سار وراءهم؛ إذ لو كان الأمر كذلك، لكان من السهل عليه ﷺ أن ينهي هذه المحنة التي آذته وآذت زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه لم يفعل؛ لأنه لا يملك ذلك.. فماذا كان يمنعه –لو أن أمر القرآن بيده– أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة؛ ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟! ولكنه ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى، قال الله تعالى :﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ *لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ *ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ *فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[الحاقة: ٤٤–٤٧..]

وهكذا شاء الله تعالى أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيرًا على بشرية الرسول ﷺ، ونبوته في وقت واحد.

استشارته عليه الصلاة والسلام لعلي وأسامة رضي الله عنهما، وتوقفه عليه الصلاة والسلام في شأن هذه الحادثة، وتأخر نزول الوحي.

☆ لماذا لم يقيم رسول الله ﷺ الحدّ على عبد الله ابن أبي؟

الجواب: قيل لأن الحدود هي تخفيف على أهلها وكفارةً، والخبيثُ ليس أهلاً لذلك، لأن الله تعالى وعده بالعذاب العظيم في الآخرة فيُغنيه ذلك عن إقامة الحد عليه.

ويقال أيضاً، إن الحدّ لا يُثبت بالإقرار أو البينة، وهو لم يقر بالقذف ولا

شهد به عليه أحد؛ فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه، ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكروه بين المؤمنين.

وقيلَ: أن حدّ القذف هو حقٌ لآدمي لا يكتمل إلا بطلبه، حتى وإن قيل إنه حقٌ لله، فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي.

وقالوا البعض: ترك إقامة الحد لمصلحةٍ، هي أعظمُ من إقامته، كما تُرك قتله مع ظهور نِفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام؛ فإنه كان مطاعاً فيهم رئيساً عليهم فلم تؤمن إثارة الفتنة في حدّه.

☆ ومن الحكم والفوائد المترتبة على هذه الحادثة، تشريع حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين، فعندما وقعت حادثة الإفك أراد الله عز وجل أن يشرع بعض الأحكام التي تساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين.

فوائدُ تربوية من حادثة الإفك:

☆ ١- إظهار فضائل أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي ربما جهلها الكثير.

☆ ٢- كثرة الترضِّي عليها رضي الله عنها في جميع أنحاء الأرض، وكان بداية ذلك في العَشر الأواخر من رمضان، الوقت الذي صرَّح فيه الأفَّاكون باللَّعن والشتم على أم المؤمنين رضي الله عنها.

☆ ٣- تحرك معاني الإيمان في قلوب الموحِّدين غيرة لهم على عِرض نبيهم ﷺ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦].

☆ ٤- الاسترجاع عند المصيبة:

وهذا كما فعلَه صفوانُ بن المعطل رضي الله عنه؛ حيث إنَّه لما رأى عائشة رضي الله عنها وحدَها في هذا المكان المَخوف، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال النوويُّ رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: "استحباب الاسترجاع عند المصائب؛ سواء كانت في الدين أو في الدنيا، وسواء كانت في نفسه أو من يعزُّ عليه".

٥- إغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنفاذ الضَّائع:

وذلك من فِعل صفوانَ بن المعطِّل رضي الله عنه، حيث أنقذ أم المؤمنين رضي الله عنها من الهلاك في البرِّية.

وقد يُقال: إن هذا أيضًا مأخوذٌ من هديه صلى الله عليه وسلم؛ إذ إنه جعَل مَن يقفو أثر القوم لأجل مثل هذه المعاني.

٦- الأدب في التعامل مع الأجنبية:

وذلك فيما ذكَرَته عن صفوان بن المعطل لما رآها:

(أ) أنه لم يكلِّمها ولم تكلمه؛ أشارت إلى بذلك استمرار ترك المخاطبة لها.

(ب) اكتفاؤه بالاسترجاع رافعًا به صوته؛ صيانةً لها عن المخاطبة في الجملة، قال الحافظ: "وفيه دلالة على فطنة صفوان وحُسن أدبه

(ج) أنه قرَّب البعير وولاَّها قفاه لتركب؛ فلا يَرى منها شيئًا.

(د) أنه قاد البعير وهو يسير أمامها؛ حتى لا يرى شخصها، وهذا من كمال خُلقه رضي الله عنه.

(هـ) أنه وطئ البعير على يدها ليكون أيسرَ لركوبها، ولا يحتاج إلى مسِّها.

وأما أدبها هي رضي اللّه عنها:

(أ) فإنَّها لم تكلِّمه.

(ب) أنها سترَت وجهها عنه.

☆ ٧- ابتداء الكلام بالحمد والثناء.

قال ابن حجر في فتح الباري: "وفيه ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهُّد والحمد والثناء"

٨- تبرئة الغير حتى لا يُساء بهم الظن:

وذلك في حالة ما إذا لم يقع منهم تفريطٌ أو غفلة؛ لأن عائشة رضي الله عنها ذكرَت أن الذين حملوا الهودج ظنوا أنها بداخله؛ لأنَّ النساء لم يثقلن ولم يحملن اللَّحم، فلم يقع منهم تفريط، بل تضمَّن ذلك تزكيةً لهم؛ وذلك بسرعة الخدمة بحمل الهودج عندما آذنَ النبي ﷺ بالرَّحيل.

٩- الهجر بالكلام كوسيلة للتربية:

قال الحافظ رحمه الله: "وفائدة ذلك أن تتفطَّن لتغيُّر الحال، فتعتَذر أو تعترف".

ثم بيَّن مراتب الهِجران بالكلام والملاطفة، فقال: "فإن كان السبب محققًا فيُترك أصلًا - يعني: الكلام والملاطفة - وإن كان مظنونًا فيخفَّف، وإن كان مشكوكًا فيه أو محتمِلًا، فيَحسُن التقليل منه؛ لا للعمل بما قيل، بل لئلاَّ يُظنَّ بصاحبه عدمُ المبالاة بما قيل في حقِّه؛ لأن ذلك من خوارم المروءة".

١٠- ذَب المسلم عن المسلم:

وذلك أن عائشة رضي الله عنها قالت لأم مِسطح: "بئس ما قلتِ! أتسُبِّين رجلًا شهد بدرًا؟!".

قال الحافظ رحمه الله: "وفيه ذبُّ المسلم عن المسلم خصوصًا من كان من أهل الفضل، وردعُ من يؤذيهم"

☆ ١١- الصبر عند البلاء، والاستعانة بالله:

وذلك من صبر عائشة رضي الله عنها عندما علمَت بالمحنة، فقالت مستشهِدة بكتاب الله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

☆ ١٢- مَن وقعت به نازلة فليتشاور وليتحاور فيها مع أقرب الناس وأحبِّهم إليه:

بشرط أن يكون عاقلًا عارفًا بعواقب الأمور؛ لأنها لما نزلَت بها هذه النازلة ذهبَت إلى أبويها؛ لكونهما أقرب الناس إليها، وأحبهم لها، ولهم في الدين والعقل والعلم والمعرفة بعواقب الأمور القدَم السابق.

☆ ١٣- المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب؛ كما فعل النبي ﷺ عندما ثار القوم، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يزَل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتهم حتى سكتوا وسكت.

☆ ١٤- تفويض الكلام إلى الكبار؛ لأن عائشة رضي الله عنها فوَّضت أبويها للجواب على رسول الله ﷺ.

☆ ١٥- مشروعية التوبة.

وأنها تُقبل من المعترف المقلع المخلص، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها.

عبر ودروس حادثة الإفك كثيرة، لكن من أهمها:

أولاً: إن من التعليمات التي وجهها الله –تبارك وتعالى– إلى المسلمين أن لا يقبلوا من كل أحد قوله دون روية إذا كان يرمي غيره بما لا يرونه فيه ولا يشيعوه في المجتمع، بل من واجبهم إذا وجدوا أن قد فشت في المجتمع مثل هذه الافتراءات والاتهامات الكاذبة أن يعملوا على كبتها، ويحولوا دون شيوعها، ويجتنبوا تناقلها بينهم، وإن الذين يلفقون الأخبار الفاحشة ويذيعونها، أو يحاولون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، ويحاولون إلصاق التهم بالمؤمنين والمؤمنات، ويرمونهم بما ليس فيهم، إنهم لا يستحقون الحماية والتشجيع، بل يستحقون العقاب وإقامة الحد على كل فرد منهم؛ حتى يرتدع ويطهّر لسانه وسمعه وبصره عن قالة السوء، وقذف الغافلين من المؤمنين والمؤمنات؛ وليرتدع غيره من المخدوعين بهذه المقالات السيئة –إن كان مؤمنًا– ويكون تطهيرًا له، وإن كان منافقًا كذلك يقام عليه الحد من أجل أن يكبت ويخرس لسانه؛ ولئلا تسول له نفسه إشاعة الفاحشة واتهام الأبرياء مرة أخرى، وليعلم أن هذا عقابه في الدنيا مادام على هذه الحال، وفي الآخرة عذاب عظيم.

ثانياً: أما المؤمنون فيجب أن يظنوا بأنفسهم خيرًا، ولا يعتمدوا على سوء الظنّ وقالة السوء التي تنتشر في المجتمع بسبب منافق أو منافقة، فإذا هم سمعوا عن ذلك يجب عليهم أن يطهروا أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم من هذا البهتان على المؤمنين والمؤمنات، وإن كانت التهمة تلحق بأحد منهم فليصبروا وليحتسبوا جزاء صبرهم عند الله، ثم إن كانت لديهم البيّنة على من أشاع ذلك فليطلبوا إقامة الحد الشرعي على ظهور أولئك المنافقين أو المخدوعين من المسلمين.

ثالثاً: إن الله سبحانه وتعالى حين أنزل براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال في أول آية من الآيات العشر من سورة النور وهي نور من أولها إلى آخرها تُجلي لنا حقائق كثيرة قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾، يعني أنه لم يكن فردًا ولم يكونوا أفرادًا، إنما كانوا جماعة ذات هدف معين، يتزعمهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، ومن ورائه عصبة من اليهود الذين غاظهم أن بعث الله نبيه، وهم يتآمرون على الإسلام علانية، فلما باءت كل محاولاتهم بالفشل لجؤوا إلى

هذا الأسلوب الخسيس، وإلى هذا الجرم والشناعة، أن يشككوا في أطهر بيت وأشرفه عرفته البشرية منذ أن خلق الله آدم وإلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة؛ ما الذي يفيدنا هذا؟! يفيدنا أن العصبة التي شككت في بيت رسول الله موجودة اليوم كما وجدت في ذلك الزمان، فها نحن اليوم نسمع من يرمي أم المؤمنين عائشة بالفحش، من قبل كثير ممن أعمى الله -سبحانه وتعالى- بصائرهم عن نور الحق، وكانوا مثلهم في الجرم، وكانوا مثلهم في البشاعة، والذي يرمي أم المؤمنين عائشة بالفحش لا حظ له من الإسلام، فهو أول مكذّب بالقرآن، حيث برّأ الله عائشة من فوق سبع سماوات.

رابعاً: أن الابتلاء سنة الله تعالى في خلقه، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وهذه الحادثة من أعظم أنواع الابتلاء، ولو شاء الله تعالى لبرأ أمنا عائشة من أول يوم، لكنه سبحانه أراد أن يمحّص الصفوف ويؤدب الصحابة، وينزل أحكاما لصيانة الأسرة وضبط العلاقة بين الجنسين تقوم عليها أركان المجتمع إلى يوم القيامة. وقد ابتليت السيدة مريم البتول وابنها

المسيح عليهما السلام بمثل هذا القذف؛ كما ابتلي نبي الله يوسف عليه السلام بالقذف، لكن الله برّأهم وأذل قاذفيهم.

وإن هذا الحادث -كما تعلمون- قد خاض فيه بعض من الصحابة من أجلاء الصحابة، كمسطح بن أثاثة الذي شهد بدرًا، وحسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، فما الذي يدل عليه هذا الأمر؟! إنه يدل على أن النفوس ضعيفة، وأن الابتلاء هو الذي يمحص النفوس، ونحن أيضًا مبتلون بهذا، إذا كان أصحاب رسول الله الذين تربوا على يديه خاضوا مع الخائضين، وهلكوا مع الهالكين في حديث الإفك، فإن كثيرًا من المسلمين اليوم يجلسون المجالس ويتحدثون في أعراض الناس الأبرياء، ويقذفون المحصنات المؤمنات البريئات بالتهم التي لا خطام لها ولا فطام، وإذا بهم بعد ذلك يشككون في النوايا، ويقولون: فلان كذا، وفلان قال كذا، ونوى كذا، دخلوا في نوايا الأبرياء والدعاة والعلماء، فالحذر الحذر من اللسان، فإنه يورد الإنسان الموارد والمهالك.

خامساً: إن هذا الحادث يبين لنا أن حَمَلة الدين مستهدفون، فكم قرأنا وكم سمعنا وكم رأينا وما زلنا نقرأ ونسمع ونرى دعاة صادقين، وعلماء أجلاء، اتهمهم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وأذنابهم في أعراضهم، حتى إنهم أوذوا بين قومهم، فمنهم من أقيم عليه الحد، ومنهم من نبذهم الناس، ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى قاضية أن يمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، فما تدور عجلة الزمان إلا ويبرئ الله سبحانه وتعالى ساحة الأبرياء من أوليائه، ويأخذ الذين تولوا كبر الإثم والجريمة البشعة أخذ عزيز مقتدر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءامَنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

سادساً: الشائعات من أخطر الحروب المعنوية والأوبئة النفسية، بل من أشد الأسلحة تدميرًا وأعظمها وقعًا وتأثيرًا، وليس من المبالغة في شيء إذا عُدَّت ظاهرةً اجتماعية عالمية لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، فكم أقلقت الإشاعة من أبرياء!! وكم حطمت من عظماء!! وكم هدمت من وشائج!! وكم تسببت في جرائم!! وكم فككت من

علاقات وصداقات!! وكم هزمت من جيوش!! وكم أخرت في سير أقوام!!ولا شك في أن الإشاعة لعبت دورًا كبيرًا في حادثة الإفك؛ ولهذا فالشريعة الإسلامية حددت وسائل لمواجهة خطر الشائعات، وإن من أولى الخطوات في مواجهة حرب الشائعات تربية النفوس على الخوف من الله، والتثبت في الأمور، فالمسلم لا ينبغي أن يكون أذنًا لكل ناعق، بل عليه التحقق والتبيُّن، وطلب البراهين الواقعية، والأدلّة الموضوعية، والشواهد العملية، وبذلك يُسدّ الطريق أمام الأدعياء، الذين يعملون خلف الستور، ويلوكون بألسنتهم كل قول وزور، ضد كل مصلح ومحتسب وغيور.

سابعًا: إفاقة الناس أعني الغافلين منهم بهذه الصدمة؛ ليعلم أن هؤلاء القوم ما زالوا على مذهبهم القديم بتكفير الصحابة ولعنِهم؛ فإن ما يدَّعونه من تغيير مواقفهم إنما يقولون ذلك تقية.

ثامنًا: فضح حقيقة المذهب الصفوي؛ الذين لا يتسامحون لمجرد اسم عائشة أو حفصة أو عمر أو أبي بكر أو عثمان، ويستحيل أن نجد عندهم

من يسمي أحدًا بهذه الأسماء، بل يرون ذلك من أعظم المنكرات، وأشدِّ المحرمات.

تاسعًا: انكشف للناس أن وراء هذا الأفاك من يُمدُّه بالأموال، وبدعم معنوي، وأن وراء ذلك دولاً تساعده.

عاشرًا: ظهور حقيقة الأمر للكثير من أهل السنة، الذين ينخدعون بفكرة التقريب بين السنة والشِّيعة، وأن هذه الفكرة من الخيال بمكان.

حادي عشر: ومن الدروس المهمة من هذه الحادثة، التوقف عند أمر الله عز وجل بالطاعة، وإن كانت مخالفة لرغبة الإنسان وهواه، وعدم ترك النفقة على الأقارب والفقراء وإن أساءوا، والحث على العفو والصفح عمن أساء إليك.. ظهر ذلك في موقف أبي بكر رضي الله عنه، الذي كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره، فلما أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها قال أبو بكر: "والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال في عائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور: ٢٢ .]فقال أبو بكر: "بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي". فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه.

لقد كانت حادثة الإفك حلقة من سلسلة حلقات الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من فضل الله ورحمته أن كشف زيفها وبطلانها، وأبقى دروسها وفوائدها؛ لتكون عبرة وعظة للأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وكل ذلك من الخير الذي كشفه الله في ثنايا هذا الحادث، مع ما فيه من ابتلاء وآلام، كما قال الله تعالى :

﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[النور: ١١.]

١٣ - منهج التعامل مع الشائعات.

أحذر نفسي وإياكم من خطورة الشائعات، واعلموا ـ أيها الإخوة الكرام الأحبة ـ أننا نعيش في زمن كثر فيه ترويج الشائعة، ولكي لا تؤثر هذه الشائعات على المسلم بأي شكل من الأشكال، فلا بد أن يكون هناك منهج واضح محدد لكل مسلم يتعامل فيها مع الشائعات، ألخصها في أربعة نقاط مستنبطة من حادثة الإفك، التي رسمت منهجًا للأمة في طريقة تعاملها مع أية إشاعة إلى قيام الساعة.

النقطة الأولى: أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم، قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور: ١٢].

النقطة الثانية: أن يطلب المسلم الدليل البرهاني على أية شائعة يسمعها، قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣].

النقطة الثالثة: أن لا يتحدث بما سمعه ولا ينشره؛ فإن المسلمين لو لم يتكلموا بأية شائعة لماتت في مهدها، قال الله تعالى: ﴿لَّوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢].

النقطة الرابعة: أن يرد الأمر إلى أولى الأمر، ولا يشيعه بين الناس أبدًا، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، والتي لها أثرها الواقعي، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:٨٣].

فإذا حوصرت الشائعات بهذه الأمور الأربعة، فإنه يمكن أن تتفادى آثارها السيئة المترتبة عليها بإذن الله عز وجل.

واحذروا أن تكونوا أنتم الانطلاقة لكل شائعة، واحذروا أن تكونوا مروجين لهذا الشائعات، فإذا ما سمعت بخبر ما سواءً سمعته في مجلس عام أو خاص، أو قرأته في مجلة أو جريدة، أو سمعته في إذاعة، وكان ما سمعته يتعلق بجهة مسلمة، سواء كانت طائفة أو مجتمع أو شخص، وكان الذي سمعته لا يسُرّ، أو فيه تنقص أو تهمة، فاحتفظ بالخبر لنفسك لا تنقله لغيرك، مع أن الذي ينبغي أن يبقى في نفسك هو عدم تصديق الخبر؛ لأن الأصل ـ كما قلت ـ إحسان الظن بالمسلمين حتى يثبت بالبرهان والدليل والأدلة صدق هذا الاتهام؛ لأن القضية قضية دين والمسألة مسألة حسنات وسيئات.

فليحافظ كل منا على دينه، وليحافظ كل منا على حسناته، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونعوذ بالله من

قسوة القلب التي تحول دون الفهم عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.، نسأل الله – تبارك وتعالى – أن يمن علينا بالاستقامة على الكتاب والسنة ونسأله أن يعيننا على طاعته ورضاه، وأن يختم لنا بالا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

جمع وترتيب

أبو أيمن

أحمد بن محمود بن إبراهيم الديب

المشرف التربوي بمدارس دار الذكر (سابقاً)

الحادي عشر من ذي القعدة ١٤٣٧هـ